نمط العلاقات الاجتماعية في ظل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي- بين الحقيقي والافتراضي-

الأستاذ الدكتور: الازهر العقبي، جامعة بسكرة، الجزائر

الباحثة: نوال بركات ، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

وقع اختيارنا على هذا الموضوع للدراسة والتحليل تزامنا مع بحثنا في انعكاسات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على نمط العلاقات الاجتماعية، وملاحظتنا تحول العديد من العلاقات الافتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي إلى علاقات حقيقية، واستدراكنا لأهمية مواقع التواصل الاجتماعي في تعضيد قيم التعاون والتفاعل والمساندة وتنمية رأس المال الاجتماعي لدى مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي.

لهذا الغرض جاءت هذه الدراسة لتكشف وبالتحليل عن ماهية النمط التقليدي للعلاقات الاجتماعية الحقيقية والنمط الجديد والمستحدث للعلاقات الاجتماعية الافتراضية من خلال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، وكيف تتأرجح هذه العلاقات الاجتماعية بين العالمين الحقيقي والافتراضي.

Abstract :

We selected this subject for study and analysis happened to coincide with our research on the implications of the use of social networking sites on the pattern of social relations, and our observation turned many virtual relationships on the social networking sites to the real relations, and Astdrakna of the importance of social networking sites in the consolidation of cooperation and interaction, support and development of social capital values the users of social networking sites.

For this purpose of this study was to reveal and analyze what the real traditional pattern of social relations and the new style and the newly created virtual social relationships through the use of social networking sites, and how these social relations oscillating between the real and virtual worlds.

مقدّمة:

تجمع الأفراد روابط وعلاقات اجتماعية عديدة ومتنوعة ناجمة عن التفاعل القائم بينهم، وهذه العلاقات توجد مع كل فرد منذ ولادته وتستمر حتى وفاته، وهي تختلف وتتباين تبعا للموقف الاجتماعي ودور الفرد في المجتمع وكذلك تختلف باختلاف الجماعة التي ينتمي إليها.

وما يلفت الانتباه أن العلاقات الاجتماعية أصبحت في الوقت الحاضر تتكون وتتوسع بواسطة استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة في إيصال أية رسالة مهما كان نوعها، حتى أصبح التواصل غالبا يتم عن طريق استخدام مواقع التواصل الاجتماعي التي توفرها الانترنت ومختلف الخدمات والمواقع في عالم افتراضي بدل التواصل الحقيقي المباشر.

وتكاد تكون مواقع التواصل الاجتماعي والأجهزة الذكية المختلفة المزودة بخدمة الإنترنت بديلا عن التواصل الحقيقي بين أفراد المجتمع حتى في أغلب الأمور المتعلقة بالحياة اليومية والاجتماعية للأفراد، فعندما نتصفح بعض المواقع الاجتماعية نجد من يضع صور لوجبات الطعام التي تناولها اليوم أو للمكان الموجود به حاليا أو لمناسبة اجتماعية حصلت معه، وباتت عبارات ومشاعر المودة والشكر والمباركة والتعازي وغيرها ترسل عن طريق المواقع الاجتماعية، فانتقلت العلاقات الاجتماعية الحقيقية إلى عالم افتراضي وزادت عليها العديد من العلاقات الجديدة التي لا يعرف أصحابها بعضهم ولا يلتقون إلا عن طريق استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

ولهذا نتساءل عن نمط العلاقات الاجتماعية بين الصورة الحقيقية والصورة الافتراضية، وما هي عوامل انتقال العلاقات الحقيقية من العالم الحقيقي إلى العالم الافتراضي؟ وكيف تتشكل تلك العلاقات الافتراضية، وما هو مستقبل كل منهما؟

من أجل ذلك قسمنا نظريا هذه الدراسة إلى أربع محاور رئيسية، تناولنا في المحور الأول بنية العلاقات الاجتماعية الحقيقية وتطورها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وفي المحور الثاني تطرقنا لمواقع التواصل الاجتماعي وتشكل العلاقات الافتراضية، ثم المحور الثالث الذي تناولنا فيه التكامل بين العلاقات الاجتماعية والعلاقات الافتراضية لنختم بالمحور الأخير حول العلاقات الاجتماعية الافتراضية ومستقبل العلاقات الاجتماعية الحقيقية.

أولا: بنية العلاقات الاجتماعية الحقيقية وتطورها عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

مما لاشك فيه أن العلاقات الاجتماعية قد تأثرت وبطريقة ما بالتطورات الهائلة المتتالية التي حدثت في المجتمعات في ظل الثورة التكنولوجية الحديثة، خاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات وتقنية الإنترنت، وهو ما يهيئ الفرصة لتغيرات قد تكون جذرية في المجالين المادي والمعنوي الذي تتخذه وتتشكل في إطاره مختلف أنماط العلاقات الاجتماعية.

وعليه فقد ازداد الاهتمام بدراسة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي كظاهرة مجتمعية انتشرت بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، وربما يرجع ذلك إلى ما لهذه الظاهرة من انعكاسات متعددة نفسية واجتماعية وصحية تؤثر على المستخدمين لهذه المواقع، فمع استمرار قضاء المزيد من الوقت على الخط المباشر من الطبيعي أنهم يخصصون وقتا أقل للنشاطات الأخرى والأشخاص الآخرين في حياتهم.[1]

بتركيز نطاق البحث والتحليل على ماهية نمط العلاقات الاجتماعية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وما قد تتضمنه من فرص كامنة أو في المقابل مخاطر مستترة، نجد أن ثمة نقاشات محتدمة حول الدور الخطير الذي تلعبه هذه المواقع في عزل الأفراد اجتماعيا وتفكيك العلاقات بين الأفراد في المجتمع، فالأفراد أصبحوا يقضون وقتا طويلا في التعامل مع الكمبيوتر والإنترنت بطريقة لافتة تسترعي الاهتمام، بما ينطوي عليه ذلك في كثير من الأحيان من حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إشاعة حالة من

العزلة الاجتماعية، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي، خاصة في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة، ويشير المتخصصون في هذا الصدد إلى ما يطلق عليه إنطوائية الكمبيوتر Computer Phyliac، وتوجد هذه الحالة عندما يستمر الشخص في الجلوس أمام الجهاز المتصل بالأنترنت ساعات طويلة كل يوم وهذا طبعا مع استثناء الأشخاص الذين يستدعي عملهم ذلك، وقد توجد هذه الحالة لدى الأفراد الإنعزاليين ذوي الشخصيات الإنطوائية أو الأشخاص الذين يرغبون في الهروب من ظروفهم ومشكلاتهم الحياتية فيلجأون إليها ليفرغوا فيه طاقتهم وهمومهم، فضلا عن الإجهاد والتوتر النفسي الذي ينتج من ذلك الاستخدام لفترات طويلة.[2]

وكمثال من أمثلة متعددة ونحن بصدد تحليل نمط العلاقات الاجتماعية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فإنه يمكن للمستخدم التمتع بما تتيحه هذه المواقع من خدمات دون أن يتحتم عليه دفع أي مقابل مادي، والتعرف على الأصدقاء والصديقات من كل أنحاء العالم يقرأ عن شخصياتهم يرى صورهم ويتبادل الرسائل الخاصة والهدايا والرسومات التعبيرية، كما يمكن له إدراج مقاطع فيديو وتحميلها، واحتراما لخصوصية المستخدم فإنها تتيح خاصية حجب أي شخص من رؤية أي شيء خاص كالأصدقاء المضافين لدى المستخدم وإلى غير ذلك من المزايا العديدة، فبمجرد التسجيل بأحد مواقع التواصل الاجتماعي مثلا بموقع Facebook على سبيل المثال لا الحصر تطاردك عبارة Add as a friend والتي بمجرد أن تضغط عليها سوف يصبح لك أصدقاء رجال ونساء من مختلف دول العالم، كل ما عليك فعله هو أن تختار ما يناسبك.

ولكن مستخدم مواقع التواصل الاجتماعي قد لا يعي في أغلب الأحيان أن هذه الصداقة قد تتطور إلى علاقات ذات أبعاد مغايرة قد تنعكس بالسلب عليه من الناحيتين النفسية والاجتماعية، وتتزايد خطورة هذا الأمر عندما يتذرع أولئك المستخدمين بحجة انجرافهم عبر عالم الإنترنت وتكوين شبكات العلاقات

الاجتماعية اعتمادا على تقنيات مواقع التواصل الاجتماعي هو أحد ضرورات العصر الحالي.

ولا يفوتنا كباحثين في هذا المجال بالتحديد أنه حقيقة إذا كان الدخول على شبكة الإنترنت واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي وغرف الدردشة تعبيرا عن صيحة علمية وتكنولوجية باهرة، فإنها في وجهها الآخر تعبير عن فراغ عاطفي ونفسي ووجداني لدى بعض الأفراد، وخصوصا في هذا العصر الذي يغلب عليه الطابع المادي.

كما أن الإقبال الشديد على غرف الدردشة عبر الانترنت يعبر في أحيان عديدة عن غياب الضبط الأسري والهروب من العلاقات الاجتماعية الحقيقية المباشرة والواضحة إلى علاقات افتراضية محكومة بالسرية ومحاطة بالكتمان ومأمونة العواقب في ظاهرها إلا أنها قد تقود في النهاية إلى مزالق خطيرة تعصف بحياة الأفراد ومستقبلهم، فخدمة غرف الدردشة chat التي توفرها مختلف المواقع الاجتماعية أصبحت ظاهرة منتشرة بشكل يكاد يكون مرضيا تؤدي تدريجيا إلى الخلل في العواطف وتوجيه المشاعر في غير وجهتها الطبيعية .

مما يقود المستخدمين إلى علاقات أخرى قد تكون منحرفة، وعليه فإن الإفراط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة غرف الدردشة قد يؤثر على العلاقات الاجتماعية، وتفسير ذلك أن غرف الدردشة هي المكان الذي يستطيع فيه المستخدم أن يتحدث مع نفسه ومع غيره بصراحة ليقول مالا يستطيع قوله في الاتصال المباشر وما يؤكد هذا الطرح الجدل الذي بات يثار حاليا عن التأثير السلبي لغرف الدردشة على العلاقات الاجتماعية عامة والعلاقات الأسرية خاصة، وذلك بسبب هروب الأفراد المستخدمين وخصوصا أفراد الأسرة أثناء حدوث خلافات مثلا، إلى البحث عن نوع جديد من العلاقات عبر شبكة الإنترنت، وهذه العلاقات هي أشبه بضربة الحظ التي قد تخرج بعلاقة جديدة ومفيدة على المستوى الاجتماعي، أو بخسارة فادحة عندما يتم الاصطدام بأولئك

الذين يبحثون عن العلاقات غير الشرعية على شبكة الإنترنت، وبالتالي إمكان حدوث ما لا تحمد عقباه.

وتحليل محتوى ونمط العلاقات الاجتماعية التي تتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي يبين بجلاء أن من الأمور الخاطئة التي يقع فيها الكثيرون خلال تعاملهم مع هذه المواقع، هو عدم تمييزهم بين العلاقات الاجتماعية الافتراضية عبر هذه المواقع وبين نظيرتها الواقعية، أو بين العالم الافتراضي عامة والعالم الحقيقي، حيث يفعلون ويقولون أشياء عبر العالم الافتراضي لا يفعلونها أو يقولونها في العالم الواقعي، وعلى مستخدمي الانترنت عموما ومواقع التواصل الاجتماعي خصوصا أن يفهموا أن الإنترنت عالم حقيقي، حتى وإن كانت العلاقات التي يقيمونها افتراضية.

فتجاهل هذا قد يؤدي بهم إلى المتاعب، فالمستخدم عندما يقوم بعمل محادثة عبر الإنترنت فهو يقوم بها مع أشخاص حقيقيين لهم مشاعر حقيقية، ومن ثم فمستخدم مواقع التواصل الاجتماعي عليه أن يعامل الناس بالاحترام نفسه الذي يعاملهم به وجها لوجه، أو في أثناء الحديث معهم من خلال الهاتف، وعلى الرغم من ذلك هناك بعض الاختلافات، فعندما يحادث مستخدم مواقع التواصل الاجتماعي شخصا بشكل مباشر ووجها لوجه فهو يرى جيدا حركات وجهه ولغة جسده بما فيها من حركة وصوت، وخصوصا أن هذه الإشارات تشكل نسبة مؤثرة من الاتصال البشري، أما المحادثة أو العلاقة الاجتماعية عموما عبر مواقع التواصل الاجتماعي فهي تتم سرا، وهذا يعني أن تلك النسبة المؤثرة من الاتصال المتعلقة بلغة الجسد مفتقدة، وبالتالي فالمستخدم يتواصل عن طريق التخاطب فقط، وهذا ما قد يسبب سوء تفاهم أو يخلق مشاكل يمكن تجنبها.[3]

وبصفة إجمالية يمكن رصد مجموعة من المؤشرات الهامة التي يستدل منها على انحراف بعض العلاقات الاجتماعية عبر مواقع التواصل الاجتماعي عن مسارها الطبيعي الإيجابي[4]:

- ✓ زيادة عدد الساعات في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بشكل مضطرد يتجاوز الفترات التي حددها الفرد لنفسه أو الحدود المعقولة عموما.
- ✓ التوتر والقلق الشديدان في حال وجود أي عائق للاتصال بالشبكة قد تصل إلى حد الاكتئاب إذا ما طالت فترة الابتعاد عن الدخول والإحساس بسعادة بالغة وراحة نفسية حين يرجع إلى استخدامه المعهود.
- ✓ إهمال بعض الواجبات الاجتماعية والأسرية والوظيفية بسبب استخدام مواقع التواصل الاجتماعي
- ✓ استمرار استخدام المواقع الاجتماعية على الرغم من وجود بعض المشكلات مثل فقدان العلاقات الاجتماعية الحقيقية وتراجعها أو التأخر عن العمل ...
- ✓ الاستيقاظ من النوم بشكل مفاجئ والرغبة بفتح البريد الإلكتروني أو رؤية قائمة المتصلين في الماسنجر والموجودين على مواقع التواصل الاجتماعي والاطلاع على المنشورات في صفحات الاصدقاء وعلى تعليقاتهم ...
- ✓ الإصابة بأضرار صحية نتيجة لإدمان مواقع التواصل الاجتماعي عموما كالأضرار التي تصيب الأيدي من الاستخدام المفرط للفأرة، أو الأضرار التي تصيب العين نتيجة للإشعاع الذي تبثه الشاشات، أو الأضرار التي تصيب العمود الفقري والرجلين نتيجة نوع الجلسة والمدة الزمنية لها مقابل الجهاز، أو الأضرار المترافقة مثل البدانة وما تسببه من أمراض.[5]
- ✓ الإصابة بأضرار نفسية واجتماعية نتيجة لإدمان الانترنت، كالدخول في عالم وهمي بديل تقدمه شبكة الانترنت مما يسبب آثارا نفسية هائلة، حيث يختلط الواقع بالوهم، أو الانسحاب الملحوظ للفرد من التفاعل الاجتماعي نحو العزلة، أو التأثير في الهوية الثقافية والعادات والقيم الاجتماعية للفرد، أو التفكك والتصدع الأسري...

هذا، ورغم ما يتوفر لسلوكيات المحادثة وتكوين العلاقات بين مختلف شرائح المجتمع خاصة التي تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي اليوم حيث أصبحت عالما افتراضيا واسعا من خلال تقنيات متعددة تزيد فعاليتها الكثير من المواقع الاجتماعية التي تقدم خدمة المحادثة والدردشة للتعارف ، فإن مواقع التواصل الاجتماعي تحتل الصدارة، خاصة بعد نتائج الدراسات التي رصدت تراجع الخجل من سلوكيات المحادثة، وأن تلك المواقع أحدثت تغييرا مثيرا في عالم العلاقات الاجتماعية، وأشعلت ثورة في الطريقة التي يتحدث بها المستخدم مع الآخرين، فانتقلت آراؤه وأفكاره ومختلف أحاديثه من العالم الحقيقي والواقعي إلى العالم الافتراضي المغري.

ثانيا: مواقع التواصل الاجتماعي وتشكل العلاقات الافتراضية:

معروف أن الرغبة في التواصل مع الغير هي نزعة متأصلة لدى الإنسان، ومهما قيل عن حوار الإنسان والآلة والإبحار في محيطات الانترنت ومختلف مواقعها المتنوعة والاشتراك فيها، فليس هناك ما هو أروع للإنسان من أن يقيم حوارا مع إنسان غيره على الطرف الآخر، يشاركه اهتماماته وهمومه ويتبادل معه معارفه وخبراته، ولقد اقترب اليوم الذي لن يبقى فيه شيء يصعب على الإنسان أن يشارك فيه غيره، وذلك بفضل التكنولوجيا، ومن الطبيعي أن تنمو الرغبة في التواصل مع ما نشهده في زماننا هذا من ظاهرة الاغتراب والانكفاء على الذات وانقطاع الصلة مع جار السكن، وربما هذا ما يفسر لنا سرعة انتشار الجماعات الافتراضية على الإنترنت[6] .

وأمام انتشار الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي أصبح المستخدمون يميلون إلى قضاء وقتهم في عالم افتراضي يوازي عالمهم الفيزيائي الأمر الذي دفعهم إلى الانقطاع عن العديد من النشاطات الاجتماعية والتقليل من العلاقات الاجتماعية التقليدية والاستئناس أكثر بنظريتها الافتراضية، وفي هذا الصدد لم يتردد الكثير من علماء النفس في تقديم تشخيص سوداوي غالبا ما يتجلى في السلوك الانطوائي وذلك من خلال ملاحظة أن[7] .

- ✓ الاستخدام المكثف لمواقع التواصل الاجتماعي يميل إلى فصل المستخدم عن الحياة الفعلية أو الحياة الحقيقة.
- ✓ العلاقات التي تتيحها تلك المواقع للفرد (العلاقات الالكترونية الافتراضية) تبدو اصطناعية على عكس الروابط الاجتماعية والعلاقات الإنسانية الحقيقية الأصيلة.
- ✓ الهوية الافتراضية التي تمنحها مواقع التواصل الاجتماعي للمستخدم تبدو كوهم لا علاقة له بهويته وشخصيته الفعلية.

حقيقة، لقد أثرت التكنولوجيا الحديثة عموما في جميع المستويات وفي جميع مناحي الحياة وكافة الفضاءات التي يتحرك ضمنها الفرد المعاصر، حيث أتاحت بذلك أنواعا اتصالية جديدة وكذا نمطا جديدا للعلاقات الاجتماعية، وقد أحدثت مواقع التواصل الاجتماعي انعكاسات عميقة في بنية المجتمعات المعاصرة وعلى مستويات كثيرة من أهمها تغيير أنماط العلاقات الاجتماعية السائدة، وتغيير في القيم في الذهنيات والنفسيات، في أساليب التربية والتعليم، ساهمت كذلك في خلق فضاءات اجتماعية جديدة لالتقاء الأفراد على رغم تباعد الفضاءات الجغرافية التي يتواجدون فيها، أعادت تشكيل بنية المجتمع إذ عملت على هدم عادات اجتماعية كانت سائدة كالتواصل الفيزيقي الحقيقي بين الأفراد، فلم تعد الأسر أو الأصدقاء أو مختلف الجماعات تلتقي ببعضها البعض جسمانيا بل يكاد ينعدم هذا التواصل[8].

وبالتالي نجح هذا النمط الجديد للعلاقات الاجتماعية الذي تتيحه مواقع التواصل الاجتماعي في خلق مفاهيم مجتمعية جديدة تتأسس من خلال البيئة التي يحدث من خلالها هذا التواصل وطبيعة تشكله ضمن الفضاء الافتراضي الذي تشكل بفضل الانترنت، مؤسسة بذلك بيئة تفاعلية جديدة تحاكي البيئة التقليدية، شكلت مجموعة العلاقات الافتراضية الناتجة عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ما يطلق عليه المجتمعات الافتراضية، وهنا لا بد أن نعرف ماهية المجتمع الافتراضي.

لكن قبل التطرق لمفهوم المجتمع الافتراضي يجدر بنا الخوض في فهم المجتمع الحقيقي ثم نحدد الخصائص التي تميز المجتمع الافتراضي عن نظيره المجتمع الحقيقي.

المعنى العام لمفهوم المجتمع يعني مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس أو هو كل تجمع للكائنات الإنسانية من الجنسين ومن كل المستويات العمرية يرتبطون معا داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتي ونظمها وثقافتها المميزة[9] .

كما يمكن تعريف المجتمع على أنه عدد من الجماعات أو مجموعة من الناس يقيمون في منطقة جغرافية معينة ويعيشون معا تلقائيا لفترة دائمة نسبيا مما ينجم عنه تفاعل اجتماعي وعلاقات اجتماعية ينشأ عنها وجود جماعات ومنظمات ومؤسسات[10] .

ويشار إلى المجتمع باعتباره نسقا اجتماعيا يشتمل على عدد كاف من البناءات الاجتماعية النظامية لأفراد وجماعات وتنظيمات يستهدف إشباع حاجاتهم من خلال تكوين علاقات متبادلة الأدوار تشمل بناء النسق الكلي[11] .

ويعرف المجتمع أيضا على أنه مجموعة من الأفراد والجماعات تعيش في موقع جغرافي واحد وتربط بينها علاقات اجتماعية وثقافية ودينية، ومن ذلك نجد أن العناصر التي تكون المجتمع تتمثل في[12]:

- ✓ إدراك أفراد المجتمع وشعورهم بأنهم يكوّنون وحدة واحدة.
- ✓ نطاق جغرافي يجمع أفراد المجتمع وجماعاته.
- ✓ وجود نظام يسمح لأعضاء المجتمع بالتعبير عن آرائهم.
- ✓ تمكن المجتمع من إشباع الاحتياجات الأساسية لأفراده إلى حد ما.
- ✓ وجود سلوكيات اجتماعية داخله مثل: التعاون، التكافل، الصراع..
- ✓ بناء اجتماعي خاص به.

وبالرغم من صعوبة التوصل إلى تعريف محدد دقيق في العلوم الاجتماعية لمفهوم المجتمع الحقيقي Community إلا أن هناك بعض المحاولات للجمع بين تعريفات كثيرة في هذا الخصوص منها ما قام به الباحث" جورج هيللري George Hillery " مستخلصا تعريفا جامعا على نحو ما من بين حوالي 94 تعريفا

سوسيولوجيا، إذ يعرف المجتمع الحقيقي (الطبيعي) بأنه عبارة عن مجموعة من الناس يشتركون في تفاعل اجتماعي وبعض الروابط المشتركة بينهم ويشتركون في مساحة ما على الأقل لبعض الوقت، إذن هناك بصفة عامة أربعة عناصر أساسية لتكوين المجتمع المحلي هي: الجماعة، التفاعل، الروابط، المكان-الزمان.

المتأمل لمفهوم المجتمع يلاحظ بأنه يتكون من العناصر الأساسية التالية: مجموعة من الأفراد يتفاعلون في علاقات اجتماعية، يتميزون بكيان ذاتي وثقافة متميزة، يتقيدون بقواعد أو بنى للأدوار والسلوك والقيم بما ذلك مكانات السلطة، إنه مستمر لفترة طويلة من الزمان، أما عنصر الإقليم فهذه مسألة خلافية، بمعنى ليست شرطا متفقا عليه لأن بعض الأفراد قد يشكلون مجتمعا يتمتع بمختلف العناصر والشروط الأساسية دون أن يكون الإقليم من ضمنها [13] .

ومع التطورات الكبيرة في مجال تكنولوجيا الاتصال كثرت المفاهيم المستحدثة التي نشأت بتطور تقنيات الاتصال والتي يأتي في مقدمتها الانترنت، ما أدى إلى ظهور العديد من المصطلحات الجديدة بعد أن تحولت جميع أنشطتنا وتفاعلاتنا الاجتماعية إلى ما يعرف بالفضاء الافتراضي، فاتحة المجال أمام ظهور ما يعرف بالمجتمع الافتراضي، وفي هذا الصدد تعرف شبكة الانترنت هذا العالم الجديد عالم يضم جميع أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد، أو في إمكانه أن يضمها جميعها ويضم أشياء جديدة أخرى، فقط مع هذا الفارق وهو أن جميع أشيائه وأنشطته تسمى بأسماء يسبقها أحد المقطعين: سيبر Cyber، أو تلي Télé الأول يدل على التحكم والثاني معناه عن بعد، أما هوية الأشياء التي يحتويها والأنشطة التي تتم فيه فتتحدد بالوصف اعتباري Virtuel ونحن نترجم هذه الكلمة بـ "اعتباري" وليس بـ"افتراضي" أو "وهمي" حسب المعنى الأصلي للكلمة، لأن الأمر هنا يتعلق ليس بمجرد وجود تصوري مفترض من صنع الخيال أو الوهم، بل بوجود واقعي مشاهد عبر الصورة والكلمة وجميع الرموز، ولكنه مع ذلك "اعتباري" من العبور والاعتبار معا، بمعنى أن الاتصال فيه يتم عن بعد وعبر رموز.

ويعرف "سيرج برولكس Serge Proulx" المجتمع الافتراضي بأنه مجموعة أفراد يستخدمون منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار..، وتنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة ويتقاسمون نفس الأذواق، القيم، الاهتمامات ولهم أهداف مشتركة [14] .

وتتعدد تعريفات المجتمع الافتراضي، غير أن نقطة الانطلاق التي اعتمدها عدد من الباحثين للوصول إلى هذا المفهوم كانت تحديد مفهوم المجتمع التقليدي والانطلاق منه للوصول إلى هذا المجتمع الذي يحاكيه ولكن بخصائص وسمات جديدة تتيحها طبيعة الاتصال والتفاعل عبر المواقع الاجتماعية، ذلك أن معظم العناصر التي تميز المجتمع الحقيقي صارت متوفرة في مجتمع آخر من نوع جديد يعيش في جغرافيا الفضاء الافتراضي ويتصف بقدر واضح من النظم والقواعد والأدوار بقدر من الملامح الثقافية المميزة التي تدور حول الاستخدامات المختلفة لنظم الانترنت وبمهارات جديدة يجري اكتسابها بطرائق عديدة مثلما يحدث في التنشئة الاجتماعية في المجتمع الحقيقي[15] .

ويعتبر ما قدمه "راينفولد Raifoold " نقطة ابتداء مهمة لدراسة المجتمعات الافتراضية من الناحية الاجتماعية والتي عرفها بأنها تجمعات اجتماعية تنشأ من شبكة الانترنت حين يستمر أناس بعدد كاف في مناقشاتهم علنيا لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السيبيري (16) Cyberspace.

يركز هذا التعريف على المقومين الاجتماعي والتكنولوجي لهذه المجتمعات، ذلك أن هذه المجتمعات تنشأ أصلا بفعل الدافع الاجتماعي (فهي تجمعات اجتماعية) في بيئة التكنولوجية (الانترنت) أي في ظروف تكنو-اجتماعية، بعدد كاف من المشاركين والأعضاء ويستمرون في تفاعلهم الاجتماعي رقميا لوقت كاف من الزمن، يكفل لهم بناء شبكات من العلاقات الشخصية والجماعية والاجتماعية المتبادلة في الفضاء الافتراضي.

أما "كارازار Karasar" فيعرف المجتمع الافتراضي بأنه مجموعة أشخاص اندمجوا في الاتصالات والتفاعلات عبر الانترنت في حلقات النقاش أو منتديات المحادثة الالكترونية، أما "ولبر شرام W. Schramm" فيرى أن المجتمع الافتراضي هو عملية تقاسم فضاء للاتصال مع أفراد لا نعرفهم، وغالبا ما يتم هذا في الوقت الحقيقي وهو عبارة عن انعكاس للمجتمع الواقعي، لكن لا يوجد فيه أناس فعليون واتصالات حقيقية كما في الواقع أي أنها افتراضية، وهو عبارة عن جمهور من كل أنحاء العالم، جالسون أمام شاشة الكمبيوتر أو يحملون هواتفهم الذكية أو أجهزة لوحية الكترونية من أجل التواصل مع بعضهم البعض[17] .

وتعرف أيضا المجتمعات الافتراضية على أنها تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الانترنت تشكلت في ضوء ثورة الاتصالات الحديثة تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة، يتواصلون فيما بينه ويشعرون كأنهم في مجتمع حقيقي.[18]

أمام هذه التعريفات المتعددة للمجتمع الافتراضي نلاحظ أن كل منها اتخذ اتجاها معينا، فهناك من قام بإسقاطها على تعريف المجتمع الكلاسيكي وعناصره على هذا المفهوم الذي تتمثل أساسا في الجماعة، التفاعل والروابط والعلاقات الاجتماعية والمكان والزمان وغيرها، غير أن البعض من خلال تعريفه حصر تعريف المجتمع الافتراضي وما يقوده إلى تكوينه أو تشكله في عدد من الاستخدامات الأساسية مثل غرف الدردشة والحوار وغيرها، في حين أن المجتمع الافتراضي ومع التطور المتسارع الذي تشهده الانترنت أصبح له العديد من الأسس التي يتجسد من خلالها مثل مواقع التواصل الاجتماعي التي طبعا نجحت من خلال خدماتها في محاكاة المجتمع الطبيعي والتأسيس لمفهوم المجتمع الافتراضي بشكل واضح وواقعي أكثر، وذلك من خلال العلاقات الاجتماعية الافتراضية والهويات الافتراضية والتفاعل الافتراضي والروابط والعلاقات التي تجمع بين المستخدمين.

إن هذا المجتمع الافتراضي لم يكن ليظهر فجأة ولكن حدث نتيجة عدد من العوامل التي مهدت لظهوره أهمها الانترنت وتشكل الفضاء الرمزي، ومع ذلك

فإن هذا المجتمع لم تكتمل صورته بعد، ذلك لأنه مرتبط بتكنولوجيا الاتصال وبمجتمع المعلومات العالمي وهذا المجتمع أخذ في التشكل وأخذ بالتطور بصورة سريعة جدا حيث لا أحد يستطيع التكهن بالصورة الأساسية للمجتمع الافتراضي في المستقبل، وذلك لعدة اعتبارات منها:

- ✓ سرعة التغيرات التي تطرأ على هذا المجتمع، وارتباط تحولاته بصناعة البرمجيات التي تتطور في عالمنا بشكل ملحوظ.
- ✓ كثرة المتفاعلين في السياق الافتراضي، إذ أن هذه التفاعلات بدأت على المستوى النخبوي والآن يتعامل معها كل من يجيد أساسيات التعامل مع الكمبيوتر أو كل من يملك هاتفا ذكيا أو جهازا لوحيا متصل بشبكة الانترنت.
- ✓ تفاوت أعمار المترددين على تفاعلات المجتمع الافتراضي، إذ أنه لا يرتبط بشريحة عمرية واحدة فجميع الأعمار منذ الطفولة حتى الشيخوخة تتفاعل في هذا السياق.
- ✓ تعدد الصور التي يتواصل بها الأفراد في التفاعلات الافتراضية ما بين غرف محادثات، مجموعات وقوائم بريدية ومنتديات ومدونات وغيرها من طرق التفاعل.

لقد تجسدت المجتمعات الافتراضية وتنوعت بشكل كبير في السنوات الأخيرة مع ظهور الجيل الثاني للويب وتنوع مواقع وتطبيقات التواصل الاجتماعي وتعدد خدماتها وأصبحت هذه المجتمعات وسيلة مهمة جدا للأشخاص حتى يتفاعلوا مع بعضهم البعض في الوقت الذي ظل فيه موضوع وجود المجتمعات الافتراضية أو عدمه محل نقاش، ففي حين يرى المؤيدون لوجود المجتمع الافتراضي أن عدم الموافقة على وجود مجتمع افتراضي هي مسألة ذات صلة فقط بمن لم يختبروا هذا المجتمع، حيث ومع الاندماج الكبير للتكنولوجيا في الحياة اليومية العملية والاجتماعية للأشخاص ستصبح المجتمعات الافتراضية الوسيلة الأمثل التي يتصل بها الأفراد مع بعضهم البعض[19] .

إنه من الواضح أن مثل هذا المفهوم للمجتمع الجديد المجتمع الافتراضي الذي تشكل فيه الانترنت بيئة التفاعل والمواقع الاجتماعية بيئة تواصل أصبح ينبئ بتفاعلات وتعاملات جديدة تميزها طبيعة التواصل في حد ذاته، الأمر الذي أنتج العديد من المفاهيم الجديدة سواء فيما يتعلق بالاتصال والتفاعل أو حتى الهويات والمشاعر وطبيعة العلاقات الاجتماعية في حد ذاتها.

وأهم ما يميز هذه المجتمعات الافتراضية أنها متاحة للأفراد الذين يريدون المشاركة في أحد أنماطها، فالمدينة الافتراضية على حد قول "ألبرتا روبرت Alberta Ropert" و"ميشيل جينكسون Michael Jenkinson" مدينة لا تنام فهناك دائما أفراد مشتركون في التفاعلات الافتراضية حتى في منتصف الليل، ولا غرابة في ذلك فقد أصبحت الانترنت بشكل عام جزءً من حياة الناس والجماعات الافتراضية بأنماطها المختلفة باتت تشكل أهمية للعديد من المهتمين بالأنترنت على وجه خاص، وذلك ما دعا "ماريا باكردجيفا Maria Bakardjieva" إلى أن تعلن أن الحاسوب أصبح أسلوب حياة[20] .

ومن بين الخصائص الأساسية للمجتمعات الافتراضية أن الأفراد ينتظمون دون علاقة محددة وتربطهم بمكان وزمان معين [21] .

الاتصال والتفاعل: ما يميز المجتمعات الافتراضية هو طبيعة التفاعل الذي يكون من خلال الاتصال الوسيطي، ويرى علماء الاجتماع الفيبري Weberians أن هذه الوسائط أداة فاعلة في دعم العقلانية Rationalism والتي برأيهم هي السبب الرئيس في التغير الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية الغربية، إذ تعمل هذه الوسائط برأيهم على تخفيف القيود التي يفرضها الزمان والمكان على الأطراف المتصلة حين تتواصل فيما بينها وتختصر الكثير من جهدهم وعنائهم، ورغم هذه الرؤية الإيجابية لهذا النوع من الاتصال فإن التطور المتسارع في تكنولوجيا الاتصال الإلكتروني الوسيطي وانتشاره في مناحي الحياة كافة بشكل غير مسبوق، كان قد دفع العديد من الباحثين الاجتماعيين إلى إيلاء هذه الوسائط

مزيدا من الاهتمام، ودعاهم إلى إعادة النظر في فهمهم لأبعادها الاجتماعية وتأثيراتها في الاتصال الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية[22] .

- ✓ التعبير عن المشاعر في المجتمعات الافتراضية: على الرغم من أن التعبير على المشاعر عادة يكون بالعديد من الميكانيزمات غير اللغوية مثل الضحك، الابتسام، تعابير الوجه وغيرها، يكون هذا التعبير في المجتمعات الافتراضية من خلال الرسائل النصية التي قد تكون أحيانا متبوعة بما يعرف بالايموتيكونات Emoticons أو سمايلز Smilies.
- ✓ الأعضاء لديهم غرض مشترك : مصلحة واهتمام واحتياج أو نشاط بسبب الانتماء للمجتمع المعني ومن بين خصائص المجتمعات الافتراضية أن يكون لديها على الأقل نشاط واحد محدد.
- ✓ وجود المعلومات وتوفرها للجميع: والدعم والخدمات بين الأعضاء أمر مهم في حركة المجتمع.
- ✓ إطار مشترك للتقاليد الاجتماعية واللغة والبروتوكولات المتبعة.

إضافة إلى ذلك فقد كان هناك اتفاق بين الباحثين بشأن نقاط أخرى تكثف وتؤثر في التفاعلات على الخط، منها[23]:

- ✓ وجود دليل على أن المشتركين الأعضاء لديهم أدوار مختلفة.
- ✓ الوعي بحدود العضوية وهوية الجماعة.
- ✓ المعايير المبدئية للاشتراك في المجتمع المعني.
- ✓ تاريخ المجتمع ووجوده على مدى فترة من الزمن.
- ✓ الأحداث الملحوظة والطقوس التي يمارسها الأعضاء.
- ✓ البيئات الطبيعية المشتركة.

إنه رغم محاكاة المجتمع الافتراضي بشكل كبير للمجتمع الحقيقي إلا أن هناك العديد من الفوارق التي يمكن من خلالها التمييز بينهما:

- من أهم صفات المجتمع الحقيقي أنه مجتمع يدوم لفترة طويلة في حين أن المجتمع الافتراضي مهدد بالزوال في أي لحظة مع مجرد انقطاع الاتصال بالأنترنت أو حتى انقطاع الكهرباء.
- التقارب الجغرافي في المجتمع الحقيقي، يقابله غياب المكان في المجتمع الافتراضي.
- يتميز المجتمع الافتراضي بالعالمية والكونية، في حين يعتبر المجتمع الحقيقي محليا، ومن جانب آخر نجد أن الأشخاص في المجتمعات الافتراضية غالبا ما تجمعهم مصالح مشتركة عكس المجتمع الحقيقي فقد تربطهم اهتمامات مشتركة أو لا.
- الاتصال في المجتمع الحقيقي يكون مواجهي أما في المجتمع الافتراضي فهو اتصال وسيطي.
- يمكننا القول بأن المجتمع الحقيقي ندرك الواقع فيه من خلال حواسنا الخمس، في حين ندرك المجتمع الافتراضي من خلال مجموعة من الأفكار والمفاهيم والآراء وغيرها ..

كما يتميز التفاعل في المجتمع الواقعي الحقيقي بعدد من الصفات إلى جانب الاتصال المواجهي مثل الرموز غير اللغوية والتعابير عن المشاعر مثل الضحك والقلق والاضطراب وتعابير الوجه إلى جانب لغة الجسد وغيرها، في حين نجدها في المجتمع الافتراضي تحولت إلى مجموعة من الرموز التي يطلق عليها إيموتيكونات Emoticons يعتمد عليها المتفاعلين لتوصيل طبيعة مشاعرهم للطرف الآخر المتفاعلين معه بفعل التكنولوجيا(24)

يمكن القول أن المجتمع الافتراضي حقق ما لم يحققه المجتمع الحقيقي، بما توفره التكنولوجيا الحديثة من تقنيات وخدمات عالية المستوى، فهو مجتمع على الخط، يتفاعل في بيئة الكترونية افتراضية ويشترك أعضاؤه في الكثير من الروابط والاهتمامات والأنشطة الاجتماعية المشتركة، وقد يكون هناك حضور طبيعي شخصي خلف الأجهزة أو لا يكون ذلك أي مجرد حضور افتراضي-برامجي وذلك في أوقات معينة، فالبيئة البرمجية للتفاعل تتقاسم أنماطا متنوعة للتفاعل

وأحجاما صغيرة أو كبيرة من المشاركين وفترات زمنية غير مقيدة، كل ذلك يتيحه الفضاء الافتراضي بدلا من الفضاء الحقيقي، فتتفاعل جماعات النقاش والحوار ويحدث التآلف وتنمو المصالح الشخصية الاجتماعية والاهتمامات النفسية والثقافية والسياسية والاقتصادية والأدبية المشتركة إلى جانب كون المجتمعات الافتراضية هي عمليا جماعات لتبادل المعلومات والاتصال التقني المفيد معرفيا واجتماعيا، والذي بدوره يكتسب نوعا من العادات والتقاليد واللوائح الاجتماعية المشتركة من الجماعة أو المجتمع الافتراضي المعني[25] .

بالطبع قد يجادل البعض – من جانب آخر– في أن المجتمع الافتراضي لا ولن يكون بديلا فعليا للمجتمع الحقيقي، فالحاجات الفيزيولوجية الفطرية وغير الفطرية لن يجرى إشباعها من خلال المجتمع الافتراضي، كحاجة الفرد للغذاء والكساء والتناسل والصراع أيضا، صحيح أن المجتمع الافتراضي سيساهم بشكل كبير في توفير هذه الحاجات من الناحية اللوجستية، لكن ذلك لن يغني عن تحرك الأفراد لنقل تلك الحاجات أو لتصنيعها أو للقاء تحت سقف واحد والعيش معا لفترة طويلة لإنجاب الأطفال وتربيتهم..، لذلك فإن المجتمع الافتراضي لن يكون بديلا بقدر ما سيكون موازيا للمجتمع الحقيقي.

من خلال ما سبق نوضح من خلال الجدول التالي أهم الفروق بين المجتمعين الطبيعي والافتراضي:

الجدول رقم (01) يوضح بعض الفروق بين المجتمع الحقيقي والمجتمع الافتراضي:

	البقاء	المكان	المحلية/العالمية	الإدراك	الاتصال	العلاقات
المجتمع الطبيعي	دائم	محصور بمجال جغرافي	المحلية	من خلال الحواس الخمس	مواجهي	حقيقية
المجتمع الافتراضي	مهدد بالزوال	غير محصور بمجال جغرافي	العالمية/ الكونية	من خلال الأفكار، الآراء، المفاهيم...	وسيطي	افتراضية

(المصدر :إعداد الباحثة نوال بركات)

تقدم الدراسة العلمية للعلاقات الافتراضية تفسيرا لفهم نتائج التقنية الإلكترونية على التفاعل الاجتماعي، على الرغم من أن ما يواجه هذا النوع من العلاقات من صعوبات في دراستها قد لا تتوافر في دراسة العلاقات الاجتماعية الحقيقية أو العادية –ذات التواصل المباشر– فهذه العلاقات الكونية الجديدة وليدة التقدم في وسائل الاتصالات وفي التكنولوجيا قد اتخذت هذه التجمعات من الانترنت آلية للتواصل والتفاعل وذلك بعدة مستويات وأبعاد منها البريد الإلكتروني، خدمة النقاش، صفحات الويب، مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، وأن هذه التجمعات تفتقد إلى الإطار المكاني وهذه التجمعات يجمع بين أفرادها فضاء مشترك لا يعتمد بالأساس على المشاركة الفيزيقية الحيوية[26] .

ومع تطور خدمات مواقع التواصل الاجتماعي تأسست بشكل واضح علاقات اجتماعية افتراضية، وساهم التزايد الكبير في استخدام تلك المواقع في انتشارها ليصبح لها دور مهم في المجتمع الافتراضي، حيث يقوم الأفراد الذين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي بإقامة روابط وعلاقات اجتماعية فيما بينهم، ويتجمعون في جماعات مختلفة، كل واحدة لها اهتماماتها الخاصة ومميزاتها، وتتميز هذه العلاقات بديناميكية من حيث تغير عدد أعضائها وطريقة تكونها

أو تبددها، وهي تقريبا تشبه العلاقات الحقيقية في حياتنا الواقعية إلى حد بعيد فهناك عدة خصائص ومميزات مشتركة بينهما.

إن إطلالة الفرد على الواقع الافتراضي في هذه الوضعية لا تتم إلا عبر معدات إلكترونية تتلاعب بالأبعاد الفيزيائية والاجتماعية للواقع الحقيقي، هذا الفرد الذي تخلص من الإكراهات الأنثروبولوجية للفضاء في بعده المادي، يصبح في علاقة تبعية للمعدات الاتصالية في تمثله للواقع، إلى درجة أن أقل الأعطال التي قد تصيب هذه الأجهزة وتمنعها بالتالي من أداء وظائفها قد تمثل كارثة وجودية بالنسبة له[27] .

لقد نجحت مواقع التواصل الاجتماعي من خلال خصائصها التي تتيح التفاعل بين مختلف مكونات المجتمع أن تجسد بشكل واضح معايير المجتمع الافتراضي الذي ينمو مع مختلف المحددات التي تتيحها هذه المواقع، حيث يقتضي التحليل الموضوعي القول بأن نمط العلاقات الاجتماعية على الإنترنت أو استخدام مواقع التواصل الاجتماعي من أجل التواصل مع الآخرين والتفاعل معهم حول الاهتمامات والنشاطات المشتركة في ظل عالم افتراضي أمر يمكن أن يقدم وسيلة ممتازة لمتابعة الهوايات وتأسيس الصداقات والعلاقات الجديدة وتعزيز تلك المكونة أصلا في الواقع الحقيقي، وممارسة الألعاب والتسلية والتشارك بالأفكار والحوار[28] .

وأيضا، المجتمع الحقيقي الذي يتكون من أفراد وجماعات وعلاقات واقعية حقيقية نجحت هي الأخرى من خلال دخولها إلى مواقع التواصل الإجتماعي أن تخلق أنماطا تواصلية جديدة، وبالتالي أوجدت نمطا جديدا للعلاقات الاجتماعية، فالفرد أصبح يتصل مع فرد آخر اتصالا وسيطيا، وأصبح التفاعل افتراضيا تغيب فيه حدود الزمان والمكان وتملأه الهويات الإلكترونية الافتراضية، وتحول الأفراد في المجتمع الحقيقي الذين بدأوا ينسحبون إلى مواقع التواصل الإجتماعي إلى أفراد افتراضيين يتفاعلون افتراضيا وينتمون لجماعات افتراضية ويكونون

علاقات افتراضية ويشاركون في نشاطات حياتية متنوعة تدور كلها في عالم واحد هو العالم الافتراضي.

ففي الوقت الذي يتكون المجتمع الحقيقي من أفراد وجماعات تتفاعل فيما بينها مكونة علاقات اجتماعية حقيقية، فإن مواقع التواصل الاجتماعي تتيح عددا من المعايير والقواعد التي تسهل هذا التفاعل والتواصل وتردع في الوقت ذاته أي تجاوزات، كالتعدي على الآخرين بالسب أو مضايقة شخص ما أو الإساءة لديانة، هذه التفاعلات الواقعية انتقلت من خلال مواقع التواصل الاجتماعي إلى العالم الافتراضي مجسدة بذلك خصائص المجتمع الافتراضي من حيث التفاعل، طبيعة الاتصال، حدود الزمان والمكان..، ليصبح الفرد يعيش من خلال مواقع التواصل الاجتماعي في مجتمع آخر مواز للمجتمع الحقيقي، حيث ساهمت هذه الأخيرة بشكل كبير في الانتشار الواسع لهذا الوجود والاستخدام لمواقع التواصل الاجتماعي مما انعكس على نمط العلاقات الاجتماعية الحقيقية.

ثالثا: التكامل بين العلاقات الاجتماعية والعلاقات الافتراضية:

عندما يبحر مستخدم مواقع التواصل الاجتماعي في الفضاء الإلكتروني بحثا عن معلومات من مصادر متنوعة وعن علاقات من أنماط مختلفة، فإنه ليس مفصولا تماما عن عوالمه المادية كما يبدو للبعض، فإذا كانت الشاشة باعتبارها وسيطا تقنيا، تحيل في أذهاننا على معنى الإخفاء واسقاط إمكانية التفاعل المباشر فإنها تتيح لنا إمكانية استثمار مساحة حميمة تكون أداتنا في توصيل المعلومات التي نرى أنها مهمة وقيمة.[29]

هذه المساحة الحميمة وإن كنا نعتمد فيها على الوجود الافتراضي، فإنها كثيرا ما تتحول إلى علاقات رغم طبيعتها الافتراضية، إلا أنها ذات قوة كبيرة وأهمية كبيرة في حياة العديد من الأشخاص الذين لم يعد بإمكانهم الحياة بعيدا عن الأجهزة المتصلة بالأنترنت.

لقد أدت تكنولوجيا الاتصال الحديثة وعلى رأسها شبكة الانترنت وخاصة ما توفره من مواقع للتواصل الاجتماعي إلى تغيير جذري في كيفية

تشكل النسيج الاجتماعي وبناء العلاقات الاجتماعية، كما تغيرت المعايير التي تقاس على أساسها متانة هذه العلاقات وإمكانية استمرارها، فبعد أن كان في الماضي البعد الجغرافي يلعب دورا كبيرا في تكوين الفرد لعلاقاته، أي أن التقارب الجغرافي والاحتكاك اليومي في مختلف الأماكن (السوق، المدرسة، أماكن العمل...) هو الذي تكون على أساسه هذه الروابط الاجتماعية فقد أصبح الأمر مع التطورات الحاصلة في تكنولوجيات الاتصال والانترنت مختلفا تماما، فيمكن لأي شخص أن يتعارف مع أفراد من مختلف أنحاء العالم ويكون معهم علاقة، حتى وإن كان بعيدا عنهم جغرافيا وحتى وإن لم يلتق معهم أبدا وجها لوجه.

ورغم هذا التبدل في نمط العلاقات الاجتماعية وكيفية تشكلها يبقى الكثير من الكتاب والمختصين والباحثين يرون أن هذا النمط الجديد من الروابط والعلاقات الاجتماعية ما هو إلا امتداد للروابط والعلاقات الحقيقية القائمة ، أي أنها تخضع تقريبا لنفس المعايير.

ويمكننا أن نفرق بين العلاقات الاجتماعية الافتراضية والعلاقات الاجتماعية الحقيقية من خلال بعدين أساسيين البعد الأول القرب الوظيفي والبعد الثاني الاتصال والتفاعل.[30]

- **البعد الأول: القرب الوظيفي: جدلية العلاقة الإنسان والمكان**: أهمية القرب لبداية الاحتكاك والاتصال الاجتماعي – في عصر الانترنت القرب وهمي ولا يتم من خلال الفراغ المكاني – المكان افتراضي بدلا من المكان الحقيقي.
- **البعد الثاني: الاتصال والتفاعل: جدلية العلاقة الإنسان والزمان: تعتمد** الاتصالات التقليدية على الاتصال المباشر – الحضور يتم من خلال زمن محدد وفي مكان محدد– الحضور في الانترنت غير متزامن وعن بعد بدلا من الحضور المتزامن، فالتفاعل يكون في أي مكان وفي أي وقت،

وتظهر الفروق الأساسية بين العلاقات الافتراضية والعلاقات الحقيقية فيما يلي :

الجدول رقم (02) يوضح أهم الفروق بين العلاقات التقليدية والعلاقات الافتراضية

العلاقات الاجتماعية الحقيقية	العلاقات الاجتماعية الافتراضية
وجود الحضور الفيزيائي وجها لوجه.	انعدام الحضور الفيزيائي.
هناك تقارب جغرافي بين الأفراد في أغلب الأحيان.	ليس بالضرورة أن يكون هناك تقارب جغرافي.
يعرف المتفاعلون كل المعلومات عن بعضهم البعض.	أغلبية هذه العلاقات قد تكون مبنية على معلومات مزيفة وليس من السهل الوصول إلى معلومات عن الذين يتم التفاعل معهم.
الهوية حقيقية في الأغلب لديها محددات معينة.	قد يكون هنا الاعتماد على الهوية الافتراضية من خلال تقديم عدد من المعلومات عن الشخص في صفحات البروفايل مثلا والتي لا تمت بصلة للمستخدم، وبالتالي قد يتفاعل الشخص من خلال المجتمع الافتراضي مع شخص آخر لا وجود له في الواقع.
بحكم الاتصال وجها لوجه والاحتكاك الدائم تكون العلاقة قوية.	علاقة مؤقتة وغير وطيدة نظرا للشكوك التي تحيط بالطرف الآخر وطبيعة التفاعل في بيئة المجتمع الافتراضي.

عم وجود وسيط تقني.	وجود وسيط تقني (شبكة الانترنت).
التعبير على المشاعر يكون من خلال تعابير الوجه، البكاء، الضحك، الابتسام...	يمكن التعبير على المشاعر من خلال الاعتماد على ما يعرف بالإيموتيكونات أو من خلال الرسائل النصية التي يتبادلها المتفاعلون.

(المصدر :محمد حسن نوبي، ثورة المعلومات والعلاقات الإجتماعية، الجمعية السعودية لعلوم العمران، جامعة الملك سعود، الرياض، 2003، ص 56)

ورغم كل هذه الفروق الموجودة بين العلاقات الحقيقية والافتراضية تبقى الأولى مكملة للثانية، فما هي إلا امتداد لها رغم التخوفات المقترحة، لأن التفاعل الحقيقي وجها لوجه كان يتميز بخصائص، فجاءت التفاعلات عبر مواقع التواصل الاجتماعي لتضفي بعض الخصائص الأخرى، فالتطور التاريخي لتكنولوجيا الاتصال يبين أنها تقوم دائما بسد ثغرات ونقائص الاتصال عن بعد، والتي تنعدم في الاتصال الشخصي المواجهي، يعني أن النقائص الموجودة في الاتصال عن بعد مقارنة بالاتصال المواجهي تعمل التكنولوجيا الاتصالية دائما على إزالتها من خلال توفير وسائل، تقنيات وظروف تجعل المتصل يحس بأنه مع من يتصل به دون حدود زمنية أو جغرافية[31] .

لكن وإن آمنا بتكاملية هذه العلاقة فإن الانتشار الواسع للعلاقات الافتراضية في حياة الأشخاص سواء كانت نتيجة للتفاعل الاجتماعي عبر الانترنت بغرض ربط علاقات اجتماعية أو بهدف التعليم الالكتروني أو التجارة الالكترونية.. وغيرها، بدأت تطرح العديد من التساؤلات حول مستقبل العلاقات الاجتماعية الحقيقية.

رابعا: العلاقات الاجتماعية الافتراضية ومستقبل العلاقات الاجتماعية التقليدية:

أبدى الدارسون المهتمون باستخدامات الانترنت تخوفاتهم من إمكانية تأثر نمط العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بفعل ظهور هذه الطرق والقنوات الحديثة للاتصال التي قلبت التواصل والتفاعل في المجتمع رأسا على عقب، بعد أن جعلت الحضور الفيزيائي أو الحضور الاجتماعي والتقارب الجغرافي والتوافق الزمني والتماثل الثقافي أمورا لا يشترط توفرها لإقامة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فأصبح الأفراد داخل البيئة الاتصالية الجديدة يتمتعون بقدرة على خلق فضاءات اتصالية افتراضية يلتقون فيها ظرفيا كأسلوب تعبيري جديد يمكنهم من التواصل مع الآخرين[32] .

ومع تزايد الاعتماد على هذه الفضاءات الافتراضية بدأت تتجلى العديد من التساؤلات حول ما إذا كان انتشار العلاقات الافتراضية الناتجة عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يؤثر سلبا على نمط العلاقات الاجتماعية الحقيقية مما يؤدي إلى تراجعها أو تلاشيها في المستقبل أو يساهم في دعمها وتقوية روابطها، ففي دراسة على 895 مفردة من مستخدمي الانترنت توصل Pew Research Center's Internet و American Life Project إلى أن 85% يعتقدون بأنهم في عام 2020 عندما سيقيمون حياتهم بصورة عامة صداقاتهم وعلاقتهم الزوجية وغيرها من العلاقات سيجدون أن الانترنت كان لها قوة إيجابية على علاقاتهم الاجتماعية، في حين يرى 14% عكس ذلك، ويعتقدون بأنهم في عام 2020 عندما ينظرون إلى صداقاتهم وعلاقتهم الزوجية وغيرها من العلاقات سيجدون أن مواقع التواصل الاجتماعي كان لها قوة سلبية على علاقاتهم الاجتماعية الحقيقية[33] .

أمام هذه التصورات ظهر اتجاهين أساسيين متعلقين برؤية مستقبل نمط العلاقات الاجتماعية عموما في ظل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:

الاتجاه الأول: التواصل عبر المواقع الاجتماعية يدعم العلاقات الاجتماعية:

كتب "باري Barry" عام 2010 بأن المجتمع الافتراضي كشبكة من العلاقات الشخصية تقدم المؤانسة والدعم، المعلومات، الشعور بالانتماء والهوية الاجتماعية، ويقول كل من "ويلمان Wellman" و"جوليا Gulia" أن الانترنت تدعم مواقع التواصل الاجتماعي من خلال مجموعة متنوعة من الخدمات مثل التعليقات والرسائل، الدردشة وغيرها من الخدمات، واستطاعت المجتمعات الافتراضية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي أن توفر العديد من الفرص للأشخاص لمشاركة حياتهم الخاصة مع الآخرين في نموذج آخر ومجتمع آخر هو المجتمع الافتراضي(34).

وقد أشار العديد من المستخدمين الذين يعتبرون بأن مواقع التواصل الاجتماعي تمثل قوة إيجابية في علاقاتهم بأنها سمحت لهم بإنشاء العديد من العلاقات سواء كانت قوية أو ضعيفة حيث لم يعد البعد الجغرافي يمثل عائقا أمام الحفاظ على هذه العلاقات وتقويتها.

ويؤكد العديد ممن يدعمون هذا الاتجاه أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يساهم في دعم العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها ومثال ذلك الدور الذي يلعبه موقع Facebook في حياة المستخدمين، حيث يرى العديد من مستخدميه بأنه قد ساهم في الحفاظ على علاقاتهم الاجتماعية القديمة وهو الهدف من الموقع منذ بداية إنشائه، حيث سمحت لهم بأن يبقوا على تواصل مع الأصدقاء في أوقات فراغهم حتى في الوقت الذي يجلس فيه في المكتب أو ينتظر القطار(35).

ويعتقد أن المستخدمين الذين بإمكانهم التعبير عن أنفسهم عن طريق المواقع الاجتماعية أكثر مما يتيحه لهم الواقع هم الأكثر قدرة على بناء علاقات اجتماعية مقربة من خلال هذه المواقع، ويمكن تحديد نوعين من هؤلاء المستخدمين الذين لا يستطيعون تحقيق ذواتهم واكتشافها إلا عن طريق الانترنت، النوع الأول: هم الأشخاص الذين يحسون بقلق اجتماعي من خلال تواصلهم وجها لوجه، والنوع الثاني: هم الأشخاص الذي يشعرون بالوحدة، هؤلاء الأشخاص بإمكانهم تطوير علاقاتهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي

بسرعة كبيرة ويمكن لهذه العلاقات أن تتحول علاقات اجتماعية حقيقية يكون التفاعل فيها وجها لوجه، ويرى "جون تومبسون John Thompson" أن التطور الحاصل في مجال تكنولوجيا الاتصال لم يلغ التفاعل المباشر وجها لوجه وإنما جاء ليكمله ويتمه [36] .

الاتجاه الثاني: التواصل عبر المواقع الاجتماعية يؤثر سلبا على العلاقات الاجتماعية:

لمواقع التواصل الاجتماعي دور كبير في عزل الأفراد اجتماعيا وتفكيك العلاقات الاجتماعية الحقيقية بين الأفراد في المجتمع، فالأفراد أصبحوا يقضون وقتا طويلا في التعامل مع الإنترنت بطريقة لافتة، بما ينطوي عليه ذلك في كثير من الأحيان من حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إشاعة حالة من العزلة الاجتماعية، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي، خاصة في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة[37] .

ويرى "ويلمان Wellman " أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي قد يتدخل في الكثير من الأحيان في التفاعل داخل المنزل، وخلق ما يعرف بما بعد الأسرة، عندما يصبح أفراد الأسرة يتفاعلون مع الانترنت بدلا من تفاعلهم مع بعضهم البعض[38] .

فمواقع التواصل الاجتماعي هو وجه من تأثير السلبي على التفاعل داخل الأسرة، حيث يرى البعض حسب ما كشفت عنه دراسة أجراها كل من Pew Research Center's Internet & American Life Project بأن الوقت الذي يقضونه في استخدام الانترنت يسرق الكثير من الوقت الذي يفترض أنه مخصص للتواصل وجها لوجه، والانترنت في العادة تعزز علاقات غير قوية، هذا إلى جانب أن الدخول إلى الانترنت يعرض المعلومات الشخصية إلى الخطر [39].

وعليه، فمن خلال هذين الاتجاهين يمكننا الوصول إلى اتجاه وسط يدعم التفاعل عبر مواقع التواصل الاجتماعي من خلال المجتمع الافتراضي الذي تتيحه، ولكن على أن يدرك المستخدم طبيعة الاستخدام الأمثل فيحافظ على التفاعل وجها لوجه مع محاولة دعمه وتطويره من خلال هذه المواقع بدلا من الانسحاب الكلي من الواقع مما يشكل مخاطر كبيرة على منظومة وعلى نمط العلاقات الاجتماعية.

وبإمكاننا أن نجعل من السلبيات التي تحملها مواقع التواصل الاجتماعي إيجابيات يغتنمها المستخدم لخدمة ودعم قيمه وآرائه واتجاهاته من خلال مثلا التوعية المكثفة بكيفية الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي، وعدم ترك المستخدمين يواجهونها لوحدهم، وأيضا تشجيع توظيف الجلسات العائلية على الحوار، إبداء الرأي والتعليق على ما يتداول ضمن مواقع التواصل الاجتماعي.

خاتمة:

إنه من الواضح أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي قد أحدث تطورا ليس فقط في الحصول على المعلومات والأخبار والتسلية والتعليم والتثقيف وباقي الوظائف المعروفة التي تؤديها وسائل الإعلام والاتصال التقليدية، وإنما أثر أيضا في حياة الأفراد على المستوى الشخصي والاجتماعي، وجاءت هذه المواقع لتشكل في خضم استخدامها عالما افتراضيا يفتح المجال على مصرعيه للأفراد والتجمعات والتنظيمات والمجتمعات بمختلف أنواعها، لإبداء آرائهم ومواقفهم في القضايا والموضوعات التي تهمهم بحرية غير مسبوقة ولتكوين روابط وعلاقات اجتماعية لم تكن لو لا استخدام هذه المواقع.

حيث استطاعت هذه المواقع أن تمد المستخدمين بقنوات جديدة للمشاركة في الأنشطة الاجتماعية وروابط جديدة لتكوين نمط علاقات اجتماعية تتميز بالافتراضية اللامحدودة يختلف نمطها عن تلك العلاقات الاجتماعية الحقيقية المعروفة سابقا.

الأمر الذي زاد من تنوع خدمات مواقع التواصل الإجتماعي فزاد عدد مستخدميها وبالتالي تنوعت انعكاساتها على الفرد وعلى المجتمع، فالزوار لهذه المواقع والمستخدمين لها تربطهم علاقات اجتماعية واهتمامات مشتركة، وبالتالي أتاحت الإمكانية لمستخدميها لتغيير نمط علاقاتهم الاجتماعية من الواقع ونقلها إلى العالم الافتراضي.

لهذا فإن فكرة الإنسان اجتماعي بطبعه بدأت تتراجع، فلا بأس أن نقول وفي خضم هذه التطورات المتسارعة والتزايد الكبير في الاقبال على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أن الإنسان تكنولوجي بطبعه، إذ أصبح ينبهر وينجذب لأحدث وأذكى وسائل التواصل الاجتماعي، وليس هنا الخلل، ولكن ما وجب التنبيه إليه والوقوف عنده هو وجوب أن يكون استخدام مواقع التواصل الاجتماعي إيجابيا يخدم الفرد في جميع مناحي حياته المختلفة، ويدعم علاقاته الاجتماعية ويزيد من قوة ترابطها.

❖ **هوامش البحث:**

(1) كيمبرلي يونغ، **الإدمان على الإنترنت**، ترجمة: هاني أحمد ثلجي، بيت الأفكار الدولية، 1998، ص460.

(2) محمد عبد الشافي القوصي، **حينما يصبح الكمبيوتر أخطر معاول الهدم الاجتماعية**، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد530 ، عمان، 2009، ص69.

(3) محمد عبد الشافي القوصي، مرجع سابق، ص 136.

(4) ويكيبديا، الموسوعة الحرة، **إدمان الإنترنت** : http://ar.Wikipedia.Org

(5) عمر موفق بشير العباجي، **الإدمان والإنترنت**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص98.

(6) نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص501.

(7) الصادق رابح، **التكنولوجيات الاتصالية الحديثة وإشكالية الروابط الاجتماعية**، مجلة شؤون اجتماعية، العدد99، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2008، ص13 .

(8) يامين بودهان، **تحولات الإعلام المعاصر**، دار اليازوري، عمان، الأردن، 2012، ص12.

(9) محمد بن صالح الخليفي، **تأثير الأنترنت في المجتمع**، عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2001، ص473.

(10) سامية محمد جابر، **علم الاجتماع العام**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2003، ص235.

(11) المرجع نفسه، ص 236.

(12) عزام أبو الحمام، **الإعلام والمجتمع**، دار أسامة، الأردن، 2011، ص 66.

(13) جمال الزرن، **هندسة المكان الافتراضي منتجة لخطاب ثقافي**، http://jamelzran.jeeran.com/archive/2009/3/821002.html

(14) Marcel danesi, **Dictionary of media and communication**, Library of Congress Cataloging, USA, 2009, p300.Serge Proulx, **Les communauté virtuelles, construisent-elles du lien social?**, colloque international: l'organisation media, dispositifs médiatiques, sémiotiques et des médiations de l'organisation, université Jean moulin, Lyon, 2004

(15) عزام أبو الحمام، مرجع سابق، ص 90.

(16) علي محمد رحومة، **علم اجتماع الآلي**، دار عالم المعرفة، الكويت، 2008، ص 65.

(17) ابراهيم بعزيز، **منتديات المحادثة والدردشة الالكترونية: دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008، ص 73 .

(18) بسيوني إبراهيم حمادة، **حرية الإعلام الالكتروني الدولي وسيادة الدولة**، كراسات التنمية، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة، مصر، 2001، ص 34- 53.

(19) L. Blanchard Anita, L. Blanchard Anita, **Definition, Antecedents and Outcomes of Successful Virtual Communities**, university of north carolina, USA,2012, p45.

(20) وليد رشاد زكي، **المجتمع الافتراضي: نحو مقاربة للمفهوم**:
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=96350&eid=897

(21) A.G.M Jan, Dijk VAN, **The reality of virtual communities, utrecht**, Online university, 2011, p55.

(22) http://www.utwente.nl/gw/vandijk/publications/the_reality_of_virtual_communi.pdf

(23) حلمي خضر ساري، **تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية: دراسة ميدانية في المجتمع القطري**، مجلة جامعة دمشق، المجلد24، العدد الأول والثاني، 2012 ، ص 303.

(24) علي محمد رحومة، مرجع سابق، ص 74. , Jim Banister, word of mouse **The new age of networked media**, Agate, Chicago, 2004, p53

(25) محمد علي رحومة، مرجع سابق، ص 65

(26) C. kinnelly Susan, **Problems and promises in the study of virtual community**, university of Pennsylvania, USA, www.isoc.orglinet2000/cdproceedings

(27) الصادق رابح، مرجع سابق، ص ص 265- 286.

(28) إبراهيم إسماعيل عبده، **العلاقات الاجتماعية عبر الانترنت: دراسة في الفرص الكامنة والمخاطر المستترة**، أسبار للبحوث والدراسات والإعلام: http://www.asbar.com/ar/contents.aspx?c=779

(29) الصادق رابح، مرجع سابق، ص 25.

(30) محمد حسن نوبي، **ثورة المعلومات والعلاقات الإجتماعية**، الجمعية السعودية لعلوم العمران، جامعة الملك سعود، الرياض ، 2003، ص 56

(31) ابراهيم بعزيز، مرجع سابق، ص 71.

(32) يامين بودهان، مرجع سابق، ص54.

(33) Janna Quitney Anderson, Lee Rainie, **The future of social relations**, Pew Research Center's Internet & American Life Project, Washington, 2010, p20.

(34) Do-virtual-communities-and-social-networks-enhance-andor-destroy-peoples'- relationships -in-reality: http://networkconference.netstudies.org/2011/05/do-virtual-communitiesand-social-networks-enhance-andor-destroy-peoples%E2%80%99-relationships-in-reality/

(35) Katlyn Y.A Mackenna, **Relationship formation on the internet : what's the big attraction**, journal of social issues, vol 58, 2002, pp 09-31.

(36) John B. Thompson, **Transformation de la visibilité**, réseaux n°100, 2000 , p14.

(37) http://www.asbar.com/ar/contents.aspx?c=779

(38) 1: Angelo Antoci and al, op cit, p 66

(39) Janna Quitney Anderson, Lee Rainie, op cit, p25.